الترغيب في الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: من الآية ٦٠]

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٦]

وكذلك تواردت الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه:

١- مثل حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. رواه أبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجة، وغيرهم، وصححه الألباني رحمه الله تعالى(١).

(١) صحيح الجامع برقم (٣٤٠٧).

٢- وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع الله سبحانه، غضب عليه**». رواه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وغيرهم وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، وفي بعض كتبه ضعفه، ولكن كان آخر الأمر أنه، حسنه مرة ثانية، فالحديث ثابت إن شاء الله[١].

٣- وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله سبحانه من الدعاء**». رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى، في الأدب المفرد. برقم: (٥٤٩)[٢].

٤- حديث ابن عباس مرفوعًا: «**أفضل العبادة الدعاء**». رواه الحاكم في المستدرك (١ / ٤٩١) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في الصحيحة برقم (١٥٧٩).

ففي هذا دلالة على فضل الدعاء والترغيب فيه، وعظيم كرمه عند الله، ورفيع مكانته من العبادة، وأنه روحها ولبها وأفضلها، وإنما كان ذلك كذلك لإمور:

---

(١) انظر الثمر المستطاب، للشيخ سليم بن عيد الهلالي حفظه الله تعالى فقد نقل هذا. هناك. وانظر برقم: (٢٦٥٤).

(٢) انظر مقدمة الترغيب في الدعاء للمقدسي، صـ ٨.

أ- أن الدعاء فيه التضرع إلى الله وإظهار الضعف والحاجة إليه سبحانه.

ب- أن العبادة كلما كان القلب فيها أخشع والفكر فيها حاضراً فهي أفضل وأكمل والدعاء أقرب العبادات إلى حصول هذا المقصود، فإن حاجة العبد تدفعه إلى الخشوع وحضور القلب.

جـ- إن الدعاء ملازم للتوكل والاستعانة بالله، فإن التوكل هو الاعتماد بالقلب على الله والثقة به في حصول المحبوبات واندفاع المكروهات، والدعاء يقويه، بل يعبر عنه ويصرح به، فإن الداعي يعلم ضرورته التامة إلى الله، وأن أموره جميعها بعيدة، فيطلبها من ربه راجيًا له واثقًا به، وهذا هو روح العبادة[1]، إلى غير ذلك من الأمور التي تبين عظم قدر الدعاء ورفعه شأنه.

إن للدعاء شروطاً يجب أن تتوفر فيه، حتى يكون مقبولاً مجابًا، ويجب أن يحقق وهي كالتالي:

١- الاستقامة على شرع الله تعالى: فالدعاء يحتاج إلى

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد لابن سعدي، صـ ٦٤. وانظر فقه الأدعية لعبد الرزاق العباد (٢ / ١٣).

الاستقامة على شرع الله عز وجل، ولا بد من أن يصدر إلا عن قلب مؤمن صادق صالح. قال تعالى: ﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: الآية ١٨٦].

٢- الإخلاص: والإخلاص أساس صحة جميع الأعمال والعبادات، فلا يتقبل الله إلا ما كان خالصاً طيباً مراداً به وجهه تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: ١٤].

٣- التضرع والخشوع: لقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: من الآية ٥٥].

٤- الرجاء لقوله تعالى: ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ [الأعراف: من الآية ٥٦].

٥- الاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تعالى: فلا بد لهذا الداعي من إظهار الفقر والمسكنة، من أن يظهر حاجته، كعبد دليل. قال تعالى: ﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٦- حضور القلب مع الكلمات: فلا بد للداعي من أن يستحضر في قلبه الكلمات المدعو بها، وأن يستشعر تلك المعاني.

٧- اختيار الأوقات المناسبة المقتضية لاستجابة الدعاء: ومن هذه الأوقات: ليلة القدر، والثلث الأخير من الليل، وجوف الليل، ودبر الصلوات، وعند الأذان، وعند الزحف، وحين إفطار الصائم، وحين السفر، وفي السجود، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وغير ذلك.

٨- اليقين في الإجابة: لقوله ﷺ: «**ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة**»، رواه الترمذي والطبراني والحاكم، وسنده حسن. انظر الصحيحة (١ / ١٤٣-١٤٤).

٩- عدم الاستعجال في الاستجابة: لقوله عليه الصلاة والسلام: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل: يقول: دعوت لم يستجب لي**». رواه الجماعة إلا النسائي.

١٠- التوبة ورد المظالم: فالإجابة تسرع إلى من طهر قلبه من المعاصي، وبرأ ذمته من حقوق الآخرين.

١١- طيب المطعم والملبس: وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، .. فأنى يستجاب لذلك**» رواه مسلم.

في الحديث بيان أن المطعم الحرام والملبس الحرام، لا يكون طيب، فإذا كان طيب فإنه يستجاب لصاحبه.

١٢- أن يكون الدعاء مباحًا ومشروعًا: أي من كتاب وسنة نبيه ﷺ قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى: وينبغي للخلف أن يدعوا بالأدعية الشرعية، التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا[١]. دون ما كان فيه إثم أو قطيعة رحم قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم** ...» رواه مسلم.

١٣- العزم في المسألة: لقوله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مُستكرِه له**»[٢] رواه.

آداب الدعاء ومستحباته:

١- تقيم الوضوء والصلاة.

٢- استقبال القبلة.

٣- رفع اليدين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٤٦).

(٢) انظر مقدمة الترغيب في الدعاء للمقدسي. وفقه الأدعية والأذكار للعباد البر.

٤- افتتاح الدعاء بالحمد، والثناء على الله، والصلاة على النبي ﷺ.

٥- السؤال بالأسماء الحسنى.

٦- التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والغبر.

٧- خفض الصوت.

٨- عدم اليأس وملازمة الطلب.

٩- الدعاء بجوامع الدعاء والكلم.

١٠- إظهار الخشوع والتضرع والرغبة والرهبة والإلحاح.

١١- أن يبدأ بنفسه.

مكروهات الدعاء:

١- يكره الجهر بالصوت الشديد.

٢- يكره الإشارة فيه باصبعين، وإنما يشير بالسبابة من يده اليمنى.

٣- يكره السجع، وتكلفة صنعة الكلام له.

ثبتت مسألة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ربه عز وجل: لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه. من حديث: عمار بن ياسر العنسي، حين صلى صلاة فأوجز

فيها فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات، سمعتهن من رسول الله ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما**[١] **علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك**[٢] **في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق**[٣] **في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفذ**[٤]**، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا**[٥] **بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق**[٦] **إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»[٧].

---

(١) وفي لفظ «إذا علمت» عند ابن خزيمة في صحيحه.
(٢) في لفظ «يعني في الغيب ..» عند النسائي.
(٣) في لفظ عند النسائي في الكبرى «كلمة الحكم ...» وفي لفظ عند ابن خزيمة في التوحيد: «الحق والعدل ..».
(٤) في لفظ عند النسائي من السنن وابن خزيمة: «لا يبيد ...».
(٥) في لفظ عند ابن أبي عاصم في السنة: «بالقدر ..».
(٦) في اللفظ: وأسألك شوقاً إلى لقائك».
(٧) صحيح أخرجه:
١- أحمد في مسنده (٤ / ٢٦٤).

. . . . . .

٢- وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب نوع آخر من الدعاء (١ / ٣٨٧) برقم (١٢٢٨). وفي المجتبى (٣ / ٥٤) برقم (١٣٠٥) كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء.
٣- وأخرجه عبد الله بن أحمد (رحمه الله)، في كتاب السنة (١ / ٢٤٥) برقم (٤٦٦).
٤- وأخرجه ابن أبي عاصم (رحمه الله)، في السنة (١ / ١١٧) برقم (١٣٤) وفي (١ / ٣٠٣) برقم (٤٣٤) مختصراً.
٥- وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٠٥) برقم (١٩٢٣).
٦- وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٥٥) برقم (١٨٨) وبعضه في كتابه، الرد على المريسي (٢ / ٧٠٧).
٧- وأخرجه ابن خزيمة (رحمه الله) في التوحيد (١ - ٢٩ - ٣٠) برقم (١٣).
٨- وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥ / ٣٠٤) برقم (١٩٧١).
٩- أخرجه ابن نصر المروزي (رحمه الله) (في مختصر قيام الليل (صـ ٢٤٦) مختصراً.
١٠- أخرجه ابن مندة في الرد على الجهمية (صـ ٨٦).
١١- أخرجه الدارقطني في كتابه رؤية الله تعالى (صـ ١٣٣) برقم (١٧٣).
١٢- أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٣٠٢) برقم (٢٢٧) وفي الدعوات برقم (٢٢٠).
١٣- أخرجه اللالكائي في أصول إعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٨٨) برقم (٨٤٤، ٨٤٥).

رواه هؤلاء، كلهم من طرق، عن حماد بن زيد، قال: حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه، به. وحماد بن زيد (رحمه الله تعالى) ثقة ثبت، وقد سمع من عطاء قبل اختلاطه كما حكاه يحيى بن سعيد القطان وابن المديني، والنسائي وأبو حاتم والعقيلي وغيرهم.

انظر التهذيب (٢ / ٩) ط المؤيد. والكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات (صـ ٣٢٤).

وروى من طرق أخرى من حديث شريك بن عبد الله القاضي عن أبي هاشم الواسطي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد، به. وشريك صدوق سيئ الحفظ، كثير الأخطاء. وطريقه يتقوى بالذي قبله.

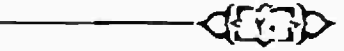

وروى من طريق آخر عند أبي يعلي الموصلي (رحمه الله) في مسنده (٣ / ١٩٥) برقم (١٦٢٤): من حديث: عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، حدثنا عطاء، به نحوه. وهذا إسناد ضعيف، فإن سماع محمد بن فضيل عن عطاء متأخراً بعد الاختلاط. ولكن يشهد له طريق حماد بن زيد.

وروى من طريق: أبي معاوية عن الأعمش عن مالك بن الحارث كان من دعاء عمار .. رواه ابن أبي شيبة (٧ / ٥٤) وهو موقوف.

قال شيخنا أبو الحسن حفظه الله وثبته: هذا سند صحيح موقوف. انظر كشف الغطاء بتحقيق الداء والدواء، برقم (١٦٧).

وروى الحاكم (رحمه الله) في المستدرك (١ / ٥١٦) من حديث: أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول ﷺ: « أن يقول كل صباح: **لبيك اللهم لبيك** .. في دعاء طويل .. وذكر لفظة يشهد لها حديث عمار، وهي اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك ... إلخ. فهذا السند فيه أبو بكر بن أبي مريم. فهو ضعيف. إلا للفظة التي يشهد لها حديث عمار، فهي تقوى به.

قال شيخنا أبو الحسن حفظه الله وأعانه: والجملة التي يشهد لها حديث عمار صحيحة ... هـ تحقيق الداء والدواء، حديث رقم (١٦٧).

أقول: ومن الله أستمد العون والسداد والتوفيق:

يتضح من خلال هذا كله أن الحديث صحيح، كما تبينه رواية حماد بن زيد (رحمه الله) وما جاء في الروايات الأخرى، التي فيها الشواهد والمتابعة ولله الحمد والمنة. والله أعلم.

وقد صحح هذا الحديث، المحدث العلامة ناصر الدين الألباني (رحمه الله رحمة واسعة) في صحيح الكلام الطيب. وقال: حدث به عطاء قبل الاختلاط. (صـ ٦٦، ١٠٥).

وكذلك صححه في كتابه السنة لابن أبي عاصم (رحمه الله) صـ ٣٣٨، ٤٢٤، ٤٢٥ .

عطاء بن السائب بن مالك، ويقال ابن السائب بن يزيد بن السائب، أبو محمد، وقيل أبو السائب، الثقفي الكوفي، ثقة، رأى عبد الله بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، سمع أباه وأبا عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، والأغر أبا مسلم، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والحسن البصري، وبلال بن بقطر، وزادان أبا عمر. وروى عنه، سليمان التيمي، وإسماعيل بن خالد، والأعمش، وسفيان الثوري، وشعبة، والحمادان، وأبو عوانه، وهيثم، وأيوب، وجرير بن عبد الحميد، وزهير، وثق عن سفيان الثوري، وشعبة وزهير، وحماد بن زيد، وأيوب، وما عداهم فمختلف فيه. قال أحمد بن حنبل: هو ثقة ثقة، رجل صالح، وقيل إنه اختلط في آخر عمره، قال يحيى بن معين اختلط غيظًا فيمن سمع منه قديمًا فهو صحيح.

روى له البخاري متابعًا وروى عنه أصحاب السنن

وكذلك في سنن النسائي (١ / ٢٨٠) برقم (١٢٣٧).

وفي المشكاة برقم (٢٤٩٧). وصفة الصلاة: (صـ ١٦٥). والتوسل (صـ ٣٢).

وصححه شيخنا أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني متع الله بعلمه وحفظه من كل سوء ومكروه: في كتابه كشف الغطاء بتحقيق الداء والدواء يسر الله طبعه. برقم (١٦٧).

الأربعة، مات رحمه الله عام ١٣٦ هـ[١].

ووالده، تابعي ثقة روى له البخاري ومسلم متابعاً، وروى له البخاري في الأدب المفرد، وأصحاب السنن.

قوله: (صلى بنا عمار بن ياسر)، وهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة العنسي القحطاني، وأمه سمية بنت خياط، قتلها أبو جهل قاتله الله، هي أول شهيدة في الإسلام، رضي الله عنهم أجمعين.

أسلم عمار رضي الله عنه بمكة قديمًا، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى له البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ، اثنان وستون حديثًا. روى عنه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم:

علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأبو موسى الأشعري، وأبو أُمامة الباهلي، وجابر بن عبد الله البجلي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ومن التابعين: سعيد بن المسيب، ومحمد بن الحنفية، وأبو وائل الأسدي، وزر بن حُبيش، وميمون بن أبي شبيب وغيرهم، رحمهم الله تعالى. قتل بصفين سنة ٣٧ هـ وهو

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠ / ٣٩٣٧)، والتهذيب (٧ / ٢٠٣).

ابن ثلاث وتسعين سنة. روى له الجماعة[١].

قوله: (فأوجز) أي: خفف واختصر في الصلاة.

قوله: (فقال له بعض القوم: لقد خففت ...) فيه سؤال، أو استفسار عما لم يعرفون من أمر هذه الصلاة، وفيه الاهتمام من أصحاب عمار حين سألوه عن التخفيف. وهذا يدل على الأهمية التي كانت عندهم في أمر الصلاة.

قوله: (أما على ذلك) أي: أما على تقدير اعتراضكم بالتخفيف فأقول: قد دعوت .. الخ. والظاهر أن «أما» هذه لمجرد التأكيد وليس لها دليل في الكلام[٢].

قوله: (لقد دعوت فيها بدعوات ..) فيه بيان أنه، دعاء بدعاء، سمعه من النبي ﷺ، وفي هذا الدعاء، دعوات، أي: هذا الخير حوى الخيرات الكثيرة، والبركات العظيمة، والفوائد الإيمانية. وفيه: أنه عمل بما علم.

والدعاء: هو استدعاء العبد ربه - عز وجل - العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرء من الحول

---

(١) انظر الاستيعاب (/) وأسد الغابة (/) والإصابة (/).
(٢) انظر التعليقات السلفية على سنن النسائي (٢ / ٢٥٩).

والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود. والكرم إليه ولذلك: قال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١). رواه الترمذي وغيره.

قوله: (سمعتهن من رسول الله ﷺ)، فيه بيان من عمار رضي الله عنه، أنه سمع، فأوعى من رسول الله ﷺ، وهذا يدل على الفضيلة التي مُنحها الصحابة، الكرام رضي الله عنهم، وهي الأخذ من فيٍّ، النبي الكريم ﷺ، وأخذ الإسلام منه غضًا طريًا، ونقله إلى الناس سمعوه منه، عليه الصلاة والسلام، فحازوا مرتبة الرضوان، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

قوله: (فلما قام تبعه رجل) الذي قام هو: عمار، والذي تبعه هو: السائب والد عطاء، وإنما قال: رجل، من أجل أن لا يذكر اسمه.

(فسأله عن الدعاء) أي: أن عمار رضي الله عنه، أخبرهم، أنه حين خفف ذكر دعاء عن النبي ﷺ ولم يذكر لهم هذا الدعاء، لعلهم يعرفونه، لكن تبعه رجل منهم يريد أن يعرف ما هو؟ فأخبره رضي الله عنه بالحديث.

---

(١) شأن الدعاء للخطابي، صـ ٤.

فقال لهم بما أخبره النبي ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب**» فيه إثبات صفة العلم، وإضافة الصفة إلى الموصوف، فهي إضافة اسمه، وإثبات من النبي ﷺ لعلم الله عز وجل، وعلمه سبحانه من لوازم نفسه المقدسة، وبراهين علمه ظاهرة في خلقه وشرعه، ومعلوم أن الخلق يستلزم الإرادة، ولا بد للإرادة من علم بالمراد والغيب: هو ما يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعرف ويعلم بأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام به. أما الله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى[1]. قال سبحانه وتعالي: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

والأدلة على وصف الله بالعلم كثيرة ولا ينكرها إلا ضال أو معاند مكابر[2].

وهو يعلم ما في السموات السبع، والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعره وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى والرمال والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم،

(١) النعوت للإمام النسائي حاشية صـ ٣١٤.
(٢) شرح الغنيمان على البخاري (١ / ١٠٣).

ويعلم كل شيء، ولا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو فوق السماء السابعة(١). سبحانه وبحمده، وتعالى وتعاظم، لا إله إلا هو العزيز العليم.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: من الآية ١١٦]. أي أنت تعلم كل شيء، والغيوب، كلها تعلمها، فننزهك عن كل عيب ونقص، ونرد علمها أي: الغيوب إليك، فأنت أعلم بما صدر من جميع الخلق، سبحانك لا إله إلا أنت.

والبراهين التي دلت على علمه بالأشياء، دلت على أنه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو المقتضي للعلم بالأشياء، فجيب وجود المقتضي لوجود السبب التام(٢). قال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: من الآية ٣].

وهذه من صحيح العموم التي لم يدخلها تخصيص أبداً، وهذا العموم يشمل أفعاله، وأفعال العباد الكليات والجزئيات، يعلم ما يقع وما سيقع، ويشمل الواجب والممكن والمستحيل، فعلم الله تعالى واسع شامل محيط، لا يستثنى منه شيء، فأما علمه بالواجب، فعلمه بنفسه،

---

(١) الرسائل والمسائل لأحمد (١ / ٢٨٣).

(٢) تفسير ابن تيمية (٦ / ٨٢).

وبحاله من الصفات الكاملة، وأما علمه بالمستحيل، فمثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: من الآية ٢٢]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: من الآية ٧٣] وأما علمه بالممكن، فكل ما أخبر الله به عن المخلوقات، فهو من الممكن: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩].

إذاً فعلم الله تعالى محيط بكل شيء. والثمرة التي ينتجها الإيمان بأن الله بكل شيء عليم: كمال مراقبة الله عز وجل وخشيته، بحيث لا يفقده حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه(١).

الغيب: مصدر غاب يغيب غيبًا، والمراد بالغيب: ما كان غائبًا، والغيب أمر نسبي، لكن الغيب المطلق علمه خاص بالله سبحانه.

وإن للغيب مفاتيح، لا يعلمها إلا الله عز وجل، وهي خمسة:

علم الساعة، وتنزيل الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم ما في الغد، وعلم مكان الموت، فهذه الخمسة هي مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وسميت مفاتح الغيب،

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين - رحمه الله - (١ / ١٨٤).

لأن علم ما في الأرحام مفتاح للحياة الدنيا، ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾ مفتاح للعمل المستقبل، ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ مفتاح لحياة الآخرة، لأن الإنسان إذا مات، دخل عالم الآخرة، وبيان علم الساعة، لبيان مبدأ مفتاح لحياة الآخرة وهي القيامة، والغيث، نزوله مفتاح لحياة الأرض بالنبات(١).

فهذا الثناء من النبي ﷺ، على ربه، وسأله بعلمه، وتنزيهه إياه، من أبلغ الثناء ومن أعظم الأدب معه، أن سأله بعلمه، وثنى بقدرته، وهذا من كمال معرفته ﷺ بربه العظيم، العليم الخبير، الذي يعلم ما في الظاهر، والذي هو خبير بما في الباطن، فهو عالم بما في الباطن والظاهر. سبحانه وتعالى. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الواسطية: «الإيمان بأن الله عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً..».

قوله عليه الصلاة والسلام: «**وقدرتك على الخلق**» فيه إثبات صفة القدرة لله عز وجل، فهو على كل شيء قدير. فقد وصف نفسه، بهذه الوصفة العظيمة، ووصفه بها نبيه

(١) شرح الواسيطة (١ / ١٩٧) مختصراً.

محمد ﷺ، وسأله بها، وبينها عز وجل في كتابه الكريم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: من الآية ٦٥]. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذكرت في هذا الموضوع.

ومن السنة: ما قاله عليه الصلاة والسلام: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» [رواه مسلم (٢٢٠٢)]. وحديث أبي مسعود البدري قال عليه الصلاة والسلام: «**أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليكم منك على هذا الغلام**». [رواه مسلم (١٦٥٩)].

فوصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده، لا يعترضه عجز ولا فتور، وقد يكون القادر بمعنى المقدر للشيء يقال: قدرت الشيء وقدرته، بمعنى واحد[١].

قال ابن كثير – رحمه الله – في رسالته العقائد:

فإذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحيحة

---

١) انظر شأن الدعاء للخطابي صـ ٨٥، وإثبات الصفات لعلوي السقاف.

بإثبات السمع. والقدرة العظيمة و.. وجب اعتقاد حقيقته، من غير تشبيه شيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، من غير إضافة ولا زيادة عليه .. ولا تبديل ولا تغيير، وإزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمساك عما سوى ذلك(١).

والقدرة هي: صفة يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون عجز ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] فما يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئًا فعله من غير ممانع ولا معارض.

ومن هذه الآية، وما أشبهها رد على القدرية، القائلين: بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

فهو سبحانه، يقدر على إيجاد المعدوم، وعلى إعدام الموجود، فالسماوات والأرض كانت معدومة، فأوجدها الله

(١) نقلاً عن إثبات الصفات للسقاف، صـ ١٥٠.
(٢) تفسير السعدي - رحمه الله -، صـ ٤٤.

سبحانه وتعالى من العدم، فأوجدها على هذا النظام البديع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: من الآية ١٤٩]. أي يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

وفي هذه الآية إرشاد إلى الثقة في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى كما في هذه الآية.

لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن معرفة أسمائه، وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص(١). ﴿كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، يعني فيعفو عنكم مع قدرته على الانتقام منكم، وجمع الله تعالى هنا بين العفو والقدير، لأن كمال العفو يكون عن قدرة. ولهذا جمع الله بين هذين الاسمين (العفو) و(القدير): فالعفو هو المتجاوز عن سيئات عباده، والغالب أن العفو يكون عن ترك الواجبات، والمغفرة عن فعل المحرمات(٢).

والقدير: ذو القدرة، سبحانه وتعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٢١٢ .

(٢) شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١ / ٣٤٦).

فإن أهل السنة المثبتين للقدر، متفقون على أن الله لا يُكرهُ أحداً، على معصيته كما يكره الوالي والقاضي وغيرهما المخلوق على خلاف مراده، يكرهونه بالعقوبة والوعيد، بل هو سبحانه يخلق إرادة العبد للعمل وقدرته وعمله وهو خالق كل شيء[1].

وقول مجاهد: في قوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: من الآية ٣]: هدى الإنسان السعادة والشقاوة، أي: هدى بسعداء إلى السعادة التي قدرها، وهدى الأشقياء إلى الشقاء الذي قدره. ﴿الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢].. ثم إذا عرف أنه الخالق، فمن المعلوم بالضرورة أن الخالق لا يكون إلا قادراً، بل كل فعل يفعله فاعل لا يكون إلا بقوة قادرة.

والخلق أعظم الأفعال، فإنه لا يقدر عليه إلا الله، فالقدرة عليه أعظم من كل قدرة، وليس لها نظير من قدرة المخلوقين.

وأيضاً فالتعليم بالعلم يستلزم القدرة، فكل من الخلق والتعليم يستلزم القدرة. وكذلك كل منهما يستلزم العلم، فإن المعلم لغيره يجب أن يكون هو عالماً بما علمه إياه، وإلا فمن الممتنع أن يعلم غيره ما لا يعلمه هو، فمن علم كل

(١) التفسير الكبير لابن تيمية (٦ / ١٥٨).

شيء – الإنسان وغيره – ما لم يعلم، أولى أن يكون عالمًا بما علمه، والخلق أيضًا يستلزم العلم، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤][١].

فنستفيد من ذلك أمور:

١– إننا إذا علمنا أن الله عفوٌّ: وأنه قدير، أوجب لنا ذلك أن نسأله العفو دائمًا، وأن نرجوا منه العفو عما حصل منا من التقصير في الواجب[٢].

٢– أن الثمرة والفائدة من معرفة صفة العلم والدعاء بها، هي: مراقبة الله عز وجل وخشيته.

٣– نستفيد أن النبي عليه الصلاة والسلام: جمع بين العلم والقدرة، لتلازمهما، وأنهما كمال في كمال الله عز وجل، ولا تكون قدرة إلا بعلم.

٤– ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: من الآية ١٢] فذكر الله عز وجل العلم والقدرة، بعد الخلق، لأن الخلق لا يتم إلا بعلم وقدرة، ودلالة الخلق على العلم والقدرة من باب دلالة التلازم.

---

(١) التفسير الكبير (٦ / ٣٤٨ – ٣٤٩).

(٢) منهاج السنة (٢ / ١١٥).

٥- أن من رحمة الله عز وجل: أن قدر فهدى وخلق وعلم، وكان لطيفاً خبيراً. فله الحمد والثناء.

٦- وقد سمى الله ورسوله، صفات الله تعالى علمًا وقدرة وقوة[١].

قوله عليه الصلاة والسلام: «**أحيني إذا علمت الحياة خيراً لي**» فيه إثبات أن الله هو: الحي الذي لا يموت، وهو الذي أحيا الخلق من قبل، سيميتهم ثم يحيهم، وهو على كل شيء قدير، فالحياة لله عز وجل، صفة ذاتية، ثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥] وقال سبحانه: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [آل عمران: ٢]. فأثبت الله عز وجل لنفسه الألوهية، ونفى كل الألهة الباطلة، وأثبت الحياة الدائمة الباقية، لنفسه عز وجل، وأثبت أيضًا القيومية الملازمة للحياة، وقد أخبر سبحانه وتعالى، في هذه الآيات: بالألوهية، وأنه لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، والله هو إلا إنه الحق المتصف بصفات

(١) شرح الواسطية (١ / ٣٤٨) وصـ ٢٠٠.

الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: من الآية ٥٨].

وجاء في السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت ... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**». [رواه مسلم (٢٧١٧)]. ومعنى الحي: الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موت ولا فنا، لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية، فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها(٢). اهـ

فطلب النبي ﷺ من ربه، أن يحيه، لأنه الحي القيوم،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، صـ ١٢٠.

(٢) شرح النونية للهراس - رحمه الله - (٢ / ١٠٣).

وهذا الأمر بيده، ولا ينبغي أن يكون لغيره، فكما أنه له الألوهية، فله الحياة والقدرة والعلم.

وشهد لحديثنا في هذا الجزء منه، ما جاء في البخاري ومسلم من حيث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ... الخ**».

ووجه النهي أن تمنى الموت من أجل الضر أنه يدل على الجزع في البلاء وعدم الرضا بالقضاء «**ما كانت الحياة خير لي**»: أي من الموت وهو أن تكون الطاقة غالبة على المعصية والأزمنة خالية عن الفتنة والمحنة[1].

قال بعضهم: أن «ما كانت» للمدة، أي: ما دام كون الحياة خيراً لي، وفي بعض النسخ «إذا كانت» والرواية الأولى أشهر وأصح وأعلم أن كلمة «إذا» ها هنا للظرف المحض، وهو أصل وضعه[2] وعبر في الحياة بقوله «ما كانت» لأنها حاصلة، فحسن أن يأتي بالصيغة المقتضية للإنسان بالحياة، ولما كانت الوفاة لم تقع بعد حسن أن يأتي

(١) تحفة الأحوذي (٤ / ٩).

(٢) شرح سنن أبي داود للعيني، وشرح الكلم الطيب له صـ ٣١١.

بصيغة الشرط، والظاهر أن هذا التفصيل يشمل ما إذا كان الضر دينيًا أو دنيوياً. وجاء عن أنس رضي الله عنه قال: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تمنوا الموت**» لتمنيته، فلعله رأى أن التفصيل المذكور ليس من التمني المنهي عنه(١).

قوله عليه الصلاة والسلام: «**وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي**»، فيه إثبات أن الله سبحانه وتعالى، هو: المنفرد بالتصرف بالعباد في حياتهم وموتهم.

«وتوفني» أي: أمتني. والموت هو: خلقٌ من خلقِ الله تعالى. والموت ضد الحياة، والموت هو: السكون. وهنا أضاف الفعل إلى الله سبحانه وتعالى. وهذا لا ينافي أنه وكل ملك الموت، أو الرسل: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾. و﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ**﴾.

(إذا علمت الوفاة) جاءت الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني أي: إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني(٢).

وإذا كانت المعصية غالبه، والأزمنة ممتلئة بالفتنة والمحنة

---

(١) فتح الباري لابن حجر - رحمه الله - (١٠ / ١٣٣ - ١٣٤).
(٢) فيض القدير (٢ / ١٨٤).

(فتوفني) أمتني «**إذا كانت الوفاة خيراً لي**» أي: الوفاة خيراً من الحياة.

ويكون مطلب المسلم، ورجاءه، أن يموت على الإسلام، لأن الله تعالى أمره بذلك فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢] فإن قال قائل كيف ينهاهم عن الموت، وهم إنما يماتون؟ قيل: إنما وقع هذا على سعة الكلام، وما تكثر العرب استعماله، قال: والمعنى الزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين(١).

سئل ابن مهدي - رحمه الله - عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه؟ فقال: ما أرى بذلك بأساً، لكن لا يتمناه من ضربه، أو فاقه(٢).

ويستفاد من هذه الفقرة والتي قبلها:

١- إن العبد يختار من الدعاء ما هو خير لدينه أو لدنياه. فافهم(٣).

٢- إنه إذا قدر للعبد الخير في الحياة الدنيا، بسبب

(١) لسان العرب (٢ / ٩٢).
(٢) السير (٩ / ٢٠٧).
(٣) شرح سنن أبي داود للعيني (٦ / ٢٦).

الدعاء فإن لم يدع، لم يوفق، قال النبي ﷺ: «**لا يرد القدر إلا الدعاء**»(١) فهذا فيه دليل على أن الله سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد ورد في هذا المعنى أحاديث عدة، وحاصل معناها أن الدعاء من قدر الله عز وجل، إذا لأنه سبحانه قد يقضي بالأمر على عبده قضاءً مقيداً بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه، وفي هذا دلالة على أن الدعاء من أعظم الأسباب التي تنال بها سعادة الدنيا والآخرة(٢)، ولهذا أمر الناس بالدعاء والاستعانة وغير ذلك من الأسباب، ومن قال أنا لا أدعو ولا أسأل اتكالاً على القدر كان مخطئًا، لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرة ورحمته وهداه ونصره ورزقه، وإذا قدر للعبد خيراً يناله بالدعاء، لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم، فإنما قدره الله، بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب(٣).

---

(١) في المسند (٥ / ٢٠٨)، ابن ماجة رقم (٩٠) وحسنه العلامة الألباني – رحمه الله – في الصحيحة رقم (١٥٤).

(٢) فقه الأدعية، لعبد الرزاق البدر، صـ١٨ – ١٩.

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٦٩ – ٧٠).

٣- ويستفاد من ذلك أيضًا: أن المؤمن يطلب من ربه التوفيق إلى خير الدنيا، وخير الآخرة.

طلب الخشية من الله تعالى:

قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»، فيه إثبات أن التوحيد، هو معرفة الله والعلم به، فإذا عرف العبد ربه خافه وخشيه، وهذه هي الثمرة الطيبة، والفائدة الجليلة، في الدنيا والآخرة. وفيه أن الخشية سبب التذكر والخشية لغة: هي خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خُص العلماء بها في قوله ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية ٢٨] وقوله: ﴿**مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾ [ق: من الآية ٣٣]، أي لمن خاف خوفًا اقتضاده معرفته بذلك من نفسه. وقيل الخشية: الخوف[١].

وإصطلاحًا: هي الخوف المقرون بإجلال. وقيل هي: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته[٢].

---

(١) الصحاح للجوهري (٦ / ٢٣٢٧) واللسان (١٤ / ٢٢٨).
(٢) التعريفات للجرجاني (١٠٣).

والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة، قالنبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية**». [رواه مسلم]

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والوجل للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية. قال عليه الصلاة والسلام: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله**» [رواه البخاري](١).

وقوله: ﴿**مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾، أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته، ولازم على خشية الله في حال غيبة أي: مغيبة عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما الخشية النافعة، خشية الله في الغيب والشهادة ويحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب، وأن هذا مقابل الشهادة حين يكون الإيمان والخشية ضرورياً لا اختيارياً، حيث يعاين العذاب وتأتي آيات الله، وهذا هو الظاهر(٢).

---

(١) بصائر ذوي التمييز الفيروزآبادي (٢ / ٥٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٨٠٧.

وقد أخبر الله تعالى عن قرب الجنة للمتقين، وأن أهلها الذين اتصفوا بهذه الصفات الأربع:

١- أن يكون أوابًا.

٢- أن يكون حفيظًا.

٣- ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: من الآية ٣٣]. يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه وإطلاعه على تفاصيل أحوال العبد. ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله وأمره ونهيه ويتضمن الإقرار بوعده ووعيده ولقائه، فلا تصح خشية الرحمن بالغيب إلا بعد هذا كله.

٤- ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: من الآية ٣٣][١].

فالذين يخشون ربهم بالغيب، هم الذين يعرفون حق الله عليهم، ومراقبته إياهم في السر والعلن ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخفوا وتستروا وهم دائمًا منيبون إلى الله، قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ...﴾ إلخ، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى، كما بين أنها منزلة العلماء، وقد عاب الله تعالى الذين يخشون الناس، ولا يخشون الله، فالله أحق أن يخشوه، إن كانوا مؤمنين[٢].

---

(١) بدائع التفسير (٤ / ٢٠١).

(٢) أضواء البيان (٨ / ٢٤٧).

وذلك لأن الذي يخشى الله لا بد أن يرجوه، ويطمع في رحمته، فينيب إليه ويحبه ويحب عبادته وطاعته، فإن ذلك هو الذي ينجيه مما يخشاه، ويحصل به ما يحبه والخشية لا تكون ممن هو معذب، فإن هذا قطع بالعذاب، معه القنوط، واليأس ليس هذا خشية وخوفًا، وإنما تكون الخشية والخوف مع رجاء السلامة ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠] أي: كل من خشي فإنه يتذكر. لأن الخشية تدعوه إلى التذكر، فالخشية مستلزمة للتذكر، فكل خاش متذكر.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨] فلا يخشاه إلا عالم، فكل خاش لله فهو عالم[١]، وهذا منطوق الآية. فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم، لكن وقع الغلط في مسمى العلم اللازم للخشية، حيث يظن أنه يحصل بدونها، وهذا ممتنع، فإنه ليس في الطبيعة أن لا يخشى النار والأسد والعدو من هو عالم بها مواجهٌ لها وأنه لا يخشى الموت من ألقى نفسه من شاهق ونحو ذلك، فأمنه في هذه المواطن دليل على عدم علمه، وأحسن أحواله أن يكون معه ظن لا يصل إلى رتبة العلم اليقين[٢].

(١) تفسير ابن تيمية (٦ / ١٨٨ - ١٩٣). (٢) بدائع التفسير (٣ / ٤٤٥).

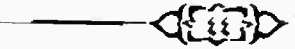

ومقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف الله وعرف حقه اشتدت خشيته له. كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية ٢٨] فالعلماء به وبأمره هم أهل خشيته، قال النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**». [رواه مسلم][١].

وفي هذا بيان محل تلك الخشية وإن قدر الله لا يعذبه.

الفائدة الثانية: أن التذكر سبب الخشية، والخشية حاصلة عن التذكر.

الفائدة الثالثة: أن الخشية سبب للتذكر، فكل منهما قد يكون سهيًا للآخر، فقد يخاف الإنسان فيتذكر، وقد يتذكر الأمور المخوفة فيطلب النجاة منها، ويتذكر ما يرجو به النجاة فيفعله[٢].

وإن الخشية من الله سبحانه وتعالىٰ، تمنع صاحبها، من اتباع الهوىٰ، لأن اتباع الهوىٰ من المهلكات والعياذ بالله، وقد ذم الله سبحانه وتعالىٰ متبع الهوىٰ، في كتابه الكريم فقال: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**﴾ [الجاثية: من الآية ٢٣].

---

(١) مدارج السالكين (١ / ١٢٧-١٣٦).

(٢) تفسير ابن تيمية (٦ / ١٩٥-١٩٦).

فكان بعد ذلك الضلال والزيغ، والعياذ بالله لكن لو كان يخشى الله سبحانه وتعالىٰ، لكان من المهتدين المستقيمين.

لهذا قال ﷺ: «**ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه، من الخيلاء، وثلاث منجيات: العدل في الرضىٰ والغضب، والقصد في الغنىٰ والفقر، ومخافة الله في السر والعلانية**»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات. فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنىٰ، وخشية الله تعالىٰ في السر والعلانية ...**» الخ[2].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

والشح هو شدة الحرص التي توجب البخل والظلم، وهو منع الخير وكراهته «والهوىٰ» في إرادة الشر ومحبته،

---

(١) حديث حسن. أخرجه البزار والطبراني في الأوسط والعقيلي، وحسنه العلامة الألباني - رحمه الله - في الصحيحة رقم (١٨٠٢) مجموع الطرق، وانظر مجمع البحرين رقم (١٤١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط. وحسنه الألباني. انظر صحيح الجامع رقم (٣٠٤٥) ومجمع البحرين رقم (١٤٢).

« والإعجاب » في العقل والعلم، فذكر فساد القوى الثلاث التي هي العلم والحب والبغض، - كما في الأحاديث التي سبقت - وهي التي سئلها في حديث عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-[١]، قال: فخشية الله بإزاء اتباع الهوىٰ، فإن الخشية تمنع ذلك، كما قال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠][٢].

فالثمرة: أن الجنة هي المأوىٰ، فكانت هي الربح العظيم بسبب الخشية، والخشية هي: الخير ولذلك « لما كانت الخشية من الله عز وجل هي رأس كل خير في المشهد والمغيب، سأله خشيته في الغيب والشهادة »[٣].

قال ابن رجب - رحمه الله -: وخشية الله في الغيب والشهادة هي من المنجيات.

وهذا هو السبب الموجب الخشية لله في السر، فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه مطلع علىٰ باطنه وظاهره وسره وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر، وإلىٰ هذا المعنىٰ الإشارة في القرآن

(١) أي: حديثنا الذي نشرحه.
(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٦٧).
(٣) إغاثة اللهفان (١ / ٢٩).

الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: من الآية ١]، كان بعض السلف يقول لأصحابه: زهدنا وإياكم في الحرام زُهْد من قدر عليه في الخلوة، فعلم أن الله يراه، فتركه من خشيته.

وكان الإمام أحمد ينشد ويقول:

إذا ما خلوت الدهر يومًا لا تقل
خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً
ولا أن ما يخفىٰ عليه يغيب[1]

أسباب خشية الله تعالى:

١- معرفة الله عز وجل:

قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: من الآية ١٩].

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنىٰ ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

---

(١) إيقاظ الهمم من جامع العلوم والحكم، صـ ٢٤٧.

وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين علىٰ كل إنسان لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كل مضطر إلىٰ ذلك.

والطريق إلىٰ العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة علىٰ كماله وعظمته وجلاله، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالىٰ المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب، تعلق القلب به ومحبته، والمتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلىٰ العلم بأنه تعالىٰ وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت

مع الله، واتخذت آلهة، وإنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضرراً، ولا موتًا ولا حياتًا ولا نشورًا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خيرًا ودفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله علىٰ ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقًا وعقولاً، ورأيًا وصوابًا، وعلمًا وهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والعلماء الربانيون – قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل علىٰ التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلىٰ أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وأقامت أدلة التوحيد من كل جانب. فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه، والخيالات، ولا يزداد – علىٰ تكرار الباطل والشبه – إلا نموًا وكمالاً.

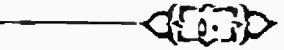

هذا، وإن نظرت إلىٰ الدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته - فإنه الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل في غيره[1].

قال مسلم بن الوليد:

يتجنب الهفوات في خلواته

عف السريرة غيبة كالمشهد

والواقع أن هذه الصفة، وهي: خشية الله بالغيب والإيمان بالغيب أساس عمل المسلم كله، ومعاملاته، لأنه بإيمانه بالغيب، سيعمل كل خير طمعًا في ثواب الله، كما في مستهل المصحف.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣] وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل سوء، فيسلم ويتحصل له ما قاله الله تعالىٰ عنهم: ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]، مغفرة من ذنوبه، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على أعماله رزقنا الله خشيته في السر والعلن.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٨٠٧.

وليعلم أن المراد بالغيب مما هو من جانب العبد لا سيده، كما في الحديث في الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». [رواه مسلم][١].

وأن خشية الله تعالىٰ، تذهب القسوة، وهي حياة القلوب اللينة، قال تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: من الآية ٧٤] يهبط أي: يتردى من رأس الجبل إلىٰ الأرض والسفح – من خوف الله وخشيته .. وقد أخبر تعالىٰ ذكره أن من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم لما يدعون إليه من الحق[٢].

وأن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بالإنذار، فلم يَخَفْ من الإنذار إلا الذين يخشون الله سبحانه وتعالىٰ بالغيب، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ [فاطر: من الآية ١٨]، فنفع الذكر من آمن بالغيب، ونفع الذكر من أقام الصلاة، ونفع الذكر من كان يخشى الله، وإن الذين ينتفعون بالذكر، وتمتلئ قلوبهم خشية، يبشرهم الله عز وجل بالمغفرة، والأجر الكريم، والخلود في جنات النعيم قال

(١) أضواء البيان (٨ / ٢٤٨).
(٢) تفسير الطبري (٢ / ٢٣٧).

تعالىٰ: ﴿إِنَّما تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

قال قتادة - رحمه الله - قوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: أي يخشون النار.

يقول تعالىٰ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم من الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك، ويتعظون بمواعظك، إلا الذين طبع الله علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون[١].

وفي قوله: ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله عز وجل إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي: أن يعطيهم علىٰ عمله ذلك الجنة[٢].

قال الشنقيطي -رحمه الله-: أن إنذاره ﷺ في الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة، وهذا الحصر الإضافي، لأنهم هم المنتفعون بالإنذار، وغير المنتفع بالإنذار، كأنه هو والذين لم ينذر سواء[٣]. ويشبه معنىٰ

(١) نفس المصدر (٢٠ / ٤٥٦). (٢) تفسير الطبري (٥ / ٤٩٦).
(٣) أضواء البيان (٦ / ٤١٨).

ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: من الآية ٤٥] فأهل الخشية هم الذين يخافون من وعد الله ووعيده، وهم الذين يتذكرون بالقرآن وبغيره.

والعلم بالله تعالىٰ يوصل إلىٰ معرفته، ومعرفته توصل إلىٰ خشيته والقرب منه، قال ابن حجر - رحمه الله تعالى: (كما كان العبد أقرب إلىٰ ربه كان أشد له خشية من دونه)[1].

٢- من أسباب الخشية تدبر القرآن العظيم:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا﴾ يدل علىٰ أنه لم ينزله، وأنه ذكر علىٰ سبيل المثال ليتفكر الناس في أمره كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: من الآية ٣١] قال ابن كثير: يقول تعالىٰ: معظمًا لأمر القرآن مبينًا علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له

---

(١) الفتح (١١ / ٢١٩).

القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتهم عن الله أمره وقد تدبرتم كتابه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: من الآية ٢١](١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقرأ علي القرآن**»، قال: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأ عليه سورة النساء، حتىٰ جئت إلىٰ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبُك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان). [متفق عليه](٢).

هكذا كان تدبر النبي ﷺ، عند سماعه للقرآن، وهذا من كمال معرفته بالله وخشيته منه.

---

(١) أضواء البيان (٨ / ٦٩ - ٧٠).

(٢) الفتح (٨ / ٢٥٠) ومـ (٨٠٠).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ من المغرب الطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦] كاد قلبي يطير. [رواه البخاري][1].

وقد مات جماعة عند سماع بعض آيات من القرآن، أفردوا بالتصنيف وينشأ هنا سؤال:

كيف يكون هذا تأثيراً لقرآن لو أنزل علىٰ الجبال ولم تتأثر به القلوب؟

قد أجاب الله في ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: من الآية ٧٤] وكذلك أصموا آذانهم عن سماعه، وغلفوا قلوبهم بالكفر عن فهمه، وأوصدوها بإقفالها فقالوا: قلوبنا غلف.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ [الكهف: من الآية ٥٧].

أي: بسبب الإعراض وعدم التدبر والنسيان، لذا قال تعالىٰ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فهذه أسباب عدم تأثر الكفار بالقرآن.

---

(١) خ (٨ / ٤٦٣).

وبمفهوم المخالفة، إن المؤمنين تخشع قلوبهم وتلين جلودهم - لآيات الله ولكتابه قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣](١).

٣- من أسباب خشوع القلوب لذكر الله وما نزل من الحق:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: من الآية ١٦].

قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾، الخشوع لغة: هو السكون والطمأنينة والانخفاض.. فقوله: خاشع أي: منخفض مطمئن والخشوع في الشرع: خشية من الله تدخل القلوب، فتظهر آثارها علىٰ الجوارح، بالانخفاض والسكون، كما هو شأن الخائف.

وقوله: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنىٰ دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معنا هما واحد(٢).

---

(١) أضواء البيان (٨ / ٧ / ١٧).
(٢) أضواء البيان (٧ / ٥٣٢).

٤- ومن أسباب الخشية: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١)

قال ابن رجب - رحمه الله تعالىٰ -: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» الخ: يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالىٰ علىٰ هذه الصفة، وهو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «**أن تخشىٰ الله كأنك تراه**»(٢) [رواه مسلم]

٥- ومن أسباب الخشية: الدعاء:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: من الآية ٩٠] أي خاضعين متذللين متضرعين، خائفين - وهذا الكمال معرفتهم بربهم. فكان دعاءهم حبًا وتعظيمًا، رغبة وخشية.

وقوله ﷺ: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك**..» [رواه الترمذي](٣).

---

(١) رواه مسلم (٨ / ١).
(٢) جامع العلوم والحكم، صـ ٤٢.
(٣) ت برقم (٣٥٠٢) والنسائي والحاكم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة**» [رواه النسائي وغيره](١).

٦- من أسباب الخشية سماع الموعظة والتأثر بها:

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ، خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قال فغطىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين. [متفق عليه](٢).

يعني: لو تعلمون ما أعلم من حقائق الأمور التي أخفاها الله عنكم وعلمها الرسول ﷺ لكنه أخفاها عن الخلق رحمة بهم، وعلمها النبي ﷺ، ولكنه لم يؤمر بإبلاغها للناس فغطىٰ الصحابة رضي الله عنهم وجوههم ولهم خنين. يعني أصوات بكاء.

فعندما سمعوا هذه الموعظة خافوا - فجعلوا يبكون رضي الله عنهم، وهذا يدل علىٰ كمال إيمانهم - وخوفهم - وكمال تصديقهم بما أخبر به الرسول ﷺ(٣).

وإن خشية الله سبحانه وتعالىٰ، تجعل صاحبها، من

---

(١) ن (١ / ٥٥) برقم (١٣٠٥). (٢) خ رقم (٤٦٢١) وم رقم (٢٣٥٩).
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٥ / ٤٠١).

أهل الإحسان، والقرب من الله تعالىٰ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم سؤال جبريل عليه السلام: قال رسول الله ما الإحسان؟ قال: «**أن تخشىٰ الله كأنك تراه. فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبيس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلىٰ حالتين: أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتىٰ كأنه يراه بعينه، وهو قوله «**كأنك تراه**» أي: وهو يراك.

والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرىٰ كل ما يعمل، وقوله «**فإنه يراك**» وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته كما جاء في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: «**أن تخشىٰ الله كأنك تراه**». ثم ذكر كلام النووي وأنه قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ(٢).

---

(١) خ (٥٠) ومسلم (١٠).
(٢) الفتح (١ / ١٤٦-١٤٧).

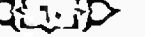

خشية الله عز وجل مانع بين العبد وبين معاصيه:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: فلما كان النبي ﷺ يقوم من مجلس، حتىٰ يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك. ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، وأجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا، وانصرنا علىٰ من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**». [الترمذي][1].

أي: اللهم اجعلنا من «**خشيتك**» أي من خوفك، نصيباً وقسماً، يحجب، ويمنع «**بيننا وبين معاصيك**» لأن القلب إذا امتلأ من الخوف والتعظيم أحجمت الأعضاء عن المعاصي.

وخشية الله سبحانه وتعالىٰ، سبب لمغفرة ذنوب العبد: عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصىٰ أهله،: إذا أنا مت فأجمعوا إليّ حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه ناراً، حتىٰ إذا أكلت**

---

(١) السنن برقم (٣٥٠٢). وحسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع برقم (١٢٦٨). وانظر تحفة الأحوذي (٩ / ٣٧٩).

لحمي وخلصت إلىٰ عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يومًا راحًا فذروه في اليم، ففعلوا. فجمعه الله، فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: خشيتك، فغفر الله له»(١).

[رواه البخاري ومسلم].

وخشية الله سبحانه وتعالىٰ سبب للهداية:

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وعسىٰ من الله واجبة.

وخشية الله سبحانه وتعالىٰ، سبب لخوف المؤمن، أن يضيع عمله، ويزول إيمانه، وسبب لمعرفته بربه عز وجل، وأن لا يقوم بحق الله تعالىٰ، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٥٨].

وخشية الله سبحانه وتعالىٰ سبب للفوز في الدنيا والآخرة:

قال عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

---

(١) خ برقم (٣٤٥٢) م برقم (٢٧٥٦).

قال السعدي - رحمه الله -: ﴿ويخش الله﴾ أي: يخافه خوفًا مقرونًا بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: «ويتقه» .. ﴿فأولئك﴾ الذين جمعوا بين طاعة الله ورسوله، وخشية الله وتقواه: ﴿هم الفائزون﴾ بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم. فاشتملت هذه الآية: على الحق المشترك بين الله وبين رسوله ﷺ، وهو الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو خشيته وتقواه[١].

وخشية الله سبحانه وتعالى سبب لدخول الجنات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧-٨].

وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، افتقد ثابت بن قيس ابن الشماس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال شر.

(١) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٥٧٢ .

كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله، وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال أنس: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: أذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة. [رواه البخاري](١).

وإفراد الله بالخشية منزلة الأنبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

قال ابن كثير – رحمه الله تعالىٰ –:

يمدح تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ**﴾ أي: خلقه ويؤدونها بأمانتها، ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ**﴾ أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، ﴿**وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ أي: وكفىٰ بالله ناصراً ومعيناً.

وسيد الناس في هذا المقام – بل وفي كل مقام – محمد رسول الله ﷺ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلىٰ جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله

(١) خ برقم (٤٨٤٦) وم (١١٩).

كلمته ودينه وشرعه، علىٰ جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وأما هو صلوات الله وسلامه عليه، فإنه بعث إلىٰ جميع الخلق، عربهم وعجمهم[1].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالىٰ -:

فإذا كان هذا سنة في الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتم القيام، وهو دعوة الخلق إلىٰ الله، والخشية منه وحده، التي تقتضي فعل كل مأمور وترك كل محظور، دل ذلك علىٰ أنه لا نقص فيه بوجه[2].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرًا، فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيبًا فقال: «**ما بال رجال بلغهم عن أمر ترخصت فيه، فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**». [رواه مسلم][3].

قال النووي - رحمه الله -: باب علمه ﷺ بالله تعالىٰ

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٤٢٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٦٦٦.
(٣) أخرجه خ برقم (٦١٠١) وم برقم (٦٠٦٢).

وشدة خشيته، فيه أن القرب إلىٰ الله تعالىٰ سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته، وأما قوله ﷺ: «**فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**». فمعناه: أنهم يتوهمون أن سنتهم عما فعلت أقرب لهم عند الله، وإن فعل خلاف ذلك.

وليس كما توهموا بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية. وإنما يكون القرب الله سبحانه وتعالىٰ والخشية له علىٰ حسب ما أمر لا بمخيلات النفوس، وتكلف أعمال ما لم يأمر بها. والله أعلم[١].

قال الحافظ بن حجر – رحمه الله–: فيه بيان أن لرسول الله ﷺ رتبة الكمال الإنساني، لأنه مختص في الحكمتين العلمية والعملية[٢]. أي: الأولىٰ «أعلمكم» والثانية «أخشاكم» وفي رواية «أتقاكم».

قال ابن كثير – رحمه الله تعالىٰ–:

ثم ورث البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلىٰ من قام بها بعده أصحابه ﷺ، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليلة ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضى الله عنهم وأرضاهم[٣].

---

(١) شرح النووي (٥ / ١٠٦).
(٢) الفتح (١ / ٩٠–٩١).
(٣) التفسير (٦ / ٤٢٦).

فقد ذكر ربنا عز وجل: أن العلماء هم أهل خشيته، ومحلها، فحاز المرتبة الأولىٰ في هذا الأمر العظيم قبل الناس كلهم، الصحابة الكرام ﷺ أجمعين.

كان أبو بكر ﷺ إذا صلىٰ بالناس يبكي حتىٰ أنه لا يسمع: عن أبي موسىٰ ﷺ قال: «مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فقالت عائشة ﷺ، إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس** ...» [رواه مسلم وأحمد][1].

وهذا عمر ﷺ، يخشىٰ الله، حين يسمع كلام بعض أصحابه، ويتمنىٰ أنه خرج لا له ولا عليه عن عبد الله بن عمر ﷺ: أن عمر ﷺ قال: لأبي موسىٰ: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك برد لنا وأن كل شيء علمناه بعد نجونا منه كفافًا رأسًا برأس» [رواه البخاري][2].

وعن المسور بن مخرمة ﷺ قال: قال عمر ﷺ لما طعن وكان يكلمه الصحابة قال: «والله لو أن لي طلاع الأرض

---

(١) م برقم (٤٢٠) م (٤ / ٤١٢).
(٢) الفتح برقم (٣٩١٥).

ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه» [رواه البخاري](١).

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان إذا جاء إلىٰ القبور، بكىٰ بكاءً شديدًا. فقالوا: إذا رأيت الجنازة لم تبكي وإذا رأيت القبور بكيت؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة**».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب علىٰ أنفه، فقال به هكذا. [رواه البخاري](٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إنما أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول: قد علمت فما عملت بما علمت اقتضاء العلم العمل)(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية ٢٨] قال: العلماء بالله الذين يخافونه(٤).

وقال الحسن البصري -رحمه الله تعالىٰ-: (لقد مضىٰ

(١) خ برقم (٣٦٩٢). (٢) الفتح برقم (١١ / ٦٣٠٨).
(٣) رواه الخطيب في الاقتضاء، صـ ٤١. (٤) الدار المنشور (٧ / ٢٠).

بين يديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصىٰ لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم)[١].

وعن مسروق - رحمه الله - قال: (كفىٰ بالمرء علمًا؟ أن يخشىٰ الله، وكفىٰ بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله)[٢].

وعن ابن بليكة قال: مر رجل على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو ساجد في الحجر، وهو يبكي فقال: (أتعجب أن أبكي من خشية الله، وهذا القمر يبكي من خشية الله؟! قال: ونظر إلىٰ القمر حين شف أن يغيب) [رواه وكيع في الزهد بسند صحيح][٣].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلىٰ زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدي، وعلىٰ منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم)[٤].

قال الإمام مالك - رحمة الله عليه -: (حق علىٰ من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية. والعلم حسن لمن رزق خيره) [رواه أبو نعيم][٥].

---

(١) الزهد لابن المبارك، صـ ٥١ .
(٢) الدار المنثور (٧ / ٢٠).
(٣) الزهد (١ / ٢٥٠-٢٥١).
(٤) التفسير (٦ / ٤٢٧).
(٥) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٠).

وعن صالح بن أبي الخليل – رحمه الله – قال: (أعلم الناس بالله أشدهم له خشية) [أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم](١). أخرجه بن المنذر عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: (العالم من خشىٰ الله)(٢).

وقال سري السقطي: (للخائف عشر مقامات: منها: الحزن اللازم، والهم الغالب، والخشية المقلقة، وكثرة البكاء، والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة، ووجل القلب) [رواه أبو نعيم](٣).

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثني أبي، عن محمد بن سعيد الترمذي قال: قدمت البصرة أكتب الحديث، وكان يحيىٰ بن سعيد القطان يجلس عليٰ موضع مرتفع، ويمر به أصحاب الحديث واحداً واحداً، يحدث كل إنسان بحديث، فمررت به لأسأله، فقال لي: أصعد، وأقرأ حدراً، وأقرأ من سورة واحدة، فقرأت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ..﴾ فسقط مغشياً عليه، فكأنه خشبة جزار(٤).

البكاء من خشية الله تعالىٰ: قال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

---

(١) الدار المنثور (٧ / ٢٠).
(٢) نفس المصدر.
(٣) الحلية (١٠ / ١١٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٧).

١- سماع النبي ﷺ قراءة: ابن مسعود لسورة النساء. فبكىٰ النبي ﷺ. وقد مر هذا الحديث فيما سبق.

٢- وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه ازيز كأزيز المرجل من البكاء. [رواه أبو داود والترمذي](١).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه بأن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**». [متفق عليه].

٤- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأُبيٍّ بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**» [البينة: من الآية ١] قال وسماني؟ قال: «نعم» فبكى أُبيٌّ. [متفق عليه](٢).

٥- وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أتىٰ بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وهو خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه، إلا بردة إن غطىٰ بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطىٰ بها، رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا - أو

(١) د برقم (٩٠٤) وت برقم (٢٧٦) في الشمائل.
(٢) الفتح (٧ / ١٢٦).

قال: قد أعطينا من الدنيا ما أعطينا - قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا. ثم جعل يبكي حتىٰ ترك الطعام. [رواه البخاري](١).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لايلج النار رجل بكىٰ من خشية الله حتىٰ يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبل الله ودخان جهنم**» [رواه الترمذي. وهو صحيح](٢).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**» [رواه الترمذي](٣).

من فوائد الخشية:

١- دليل هداية القلب.

٢- البعد عن الوقوع في المعاصي والذنوب.

٣- سبب سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

٤- تبعث علىٰ الاستقامة، فتكون وقاية من النار.

٥- للحق صولة وجولة، يوجب خشية منه معه(٤).

---

(١) الفتح (٣ / ١٤٠-١٤١). (٢) ت برقم (١٦٣٣).
(٣) ت برقم (١٦٣٩). (٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٣.

٦- خشية الله تعالىٰ هي أصل كل خير، فمن لم يخشىٰ الله لم ينكف عن معصيته[١].

٧- أنها حق مختص بالله عز وجل.

٨- أن لصاحب الخشية ثواب عظيم.

٩- أنها من صفات المؤمنين.

١٠- أن المتعظ هو الذي يخشىٰ الله.

١١- الخشية من الله حق، ومن غيره باطل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾

١٢- تثمر محبة الله وطاعته والقرب منه.

١٣- الرحمة والمغفرة.

١٤- الأمن من الفزع الأكبر.

١٥- أن محلها خيرة الخلق الأنبياء عليهم السلام ثم العلماء ورثة الأنبياء.

١٦- أنها ثمرة الإحسان.

١٧- الفوز بالجنة والنجاة من النار.

قوله عليه الصلاة والسلام: «**وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضىٰ**».

---

(١) نفس المرجع، صـ ٧٣.

الحق في اللغة: مصدر قولهم حق الشيء: وجب وهو مأخوذ من مادة (ح ق ق) التي تدل علىٰ إحكام شيء وصحته، فالحق نقيض الباطل.

قولهم أحققت الشيء: أي أوجبته. واستحققته: أي: استوجبته وتحقق عندي الخبر أي: صح..

وكلام محقق: أي: رصين ومحكم[1]. والحق في الشرع هو: وقد ذم الله تعالىٰ من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه. ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خلق الأمة الغضيبة. قال بعض الصحابة: أقبل الحق ممن قاله، وإن كان بغيضاً. ورد الباطل علىٰ من قاله، وإن كان حبيباً.

وما وجدت فيه من خطأ: فإن قائله لم يأل جهد الإصابة، ويأبىٰ الله إلا أن يتفرد بالكمال كما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن
فبنوا الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً؟ ولكن

(١) مقاييس اللغة (٢ / ١٧) والصحاح (٤ / ١٤٦١).

من عدت غلطاته أقرب إلىٰ الصواب ممن عدت إصاباته. وعلىٰ المتكلم في هذا الباب وغيره: أن يكون مصدر كلامه من العلم بالحق.

وغايته: النصيحة له، ولكتابه ولرسوله، ولإخوانه المسلمين. وإن جعل الحق تبعًا للهوىٰ: فسد القلب والعمل والحال والطريق. قال تعالىٰ: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون: من الآية ٧١].

فالعلم والعدل: أصل كل خير. والظلم والجهل: أصل كل شر. والله تعالىٰ أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق. وأمره أن يعدل بين الطوائف، ولا يتبع هوىٰ أحد منهم.

والله عز وجل هو الحق، وهو يقول الحق، ويحرم الباطل ويهدي إلىٰ الطريق المستقيم: قال تعالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: من الآية ٤]. أي: اليقين والصدق، فلذلكم أمركم باتباعه علىٰ قوله وشرعه، فقوله حق وعدل، وشرعه حق والأقوال والأفعال الباطلة لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلا إلىٰ السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، صـ ٦٥٨.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: من الآية ٣٥]. يهدي للحق بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩].

يقول تعالىٰ لرسوله ﷺ وقل: يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك(١).

والدعوة الحق هي: دعوة الله سبحانه وتعالىٰ: قال تعالىٰ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: من الآية ١٤]. أي: لله وحده ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هي: التوحيد، وقال ابن عباس وقتادة ومالك رحمهم الله: لا إله إلا هو. فـ ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هي عبادته وحده لا شريك له .. فهو الذي ينبغي أن تصرف له العبادة والطاعة. لأن ألوهيته هي الحق وألوهية غيره باطلة(٢). والله يحق الحق ويمحو الباطل.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ [الشورى: من الآية ٢٤]. أي: يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته، أي: بحججه وبراهينه(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٦٦٧) والسعدي، صـ ٤١٥.
(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ١٤٥).

وقوله حق لا مرية فيه ولا ريب: قال تعالىٰ: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٣] هاتان صفتان لله عز وجل. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الذي لا مرية فيه ولا مثنوية، ولا يقول شيئًا عبثًا. فلا يبقى ملك إلا لله الواحد القهار(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وأنزل الله الكتاب الذي اشتمل علىٰ الحق في كل شيء: قال تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: من الآية ٣].

من قيامه بعباده ورحمته سبحانه بهم أن نزل علىٰ رسوله الكتاب الذي هو: أجل الكتب وأعظمه والمشتمل علىٰ الحق في أخباره وأوامره، ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه(٢).

وفي هذا فائدة تعلم من الكتاب، أنه يهدي للحق، وأن الذي تعلمه لا يقول إلا الحق.

ووصف الله سبحانه وتعالىٰ نفسه بالحق، وأن ألوهيته وربوبيته حق، وأن ما يعبدون من دونه فهو الباطل، الزائل.

---

(١) السعدي، صـ ٢٦٢.

(٢) تفسير السعدي، صـ ١٢١.

فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾: المألوه المعبود المحمود، المربي جميع الخلق بالنعم، وهو: ﴿الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادة من هذا وصفه، إلىٰ عبادة الذي ليس له من وجود إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياة ولا نشورًا[١].

وقد أنزل الله عز وجل الكتب بالحق، وأرسل الرسل بالحق، وما قالوا عليهم الصلاة والسلام إلا الحق: قال عز وجل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٣].

فبعثوا بالحق، وشروا بالحق، وأنذروا أهل الباطل إنذار بحق، وجاءوا بالكتاب الذي فيه الحق. فصلوات الله وسلامه عليهم.

وقد أمر الله عز وجل جميع الخلق أن يؤمنوا بمحمد

---

(١) السعدي، صـ ٣٦٣.